

# انعطاف إسبانيا إلى اليمين ينعش الأيديولوجيا الفاشية

## أربعة أشهر كانت كافية ليضاعف الشعبويون مقاعدهم في البرلمان



طوى اليمين المتطرف في إسبانيا الشهر الجاري عقوداً من التهميش بحلوله ثالثاً في الانتخابات المبكرة الإسبانية، في بلد طارد للتطرف منذ نهاية عهد الجنرال فرانكو. ويطرح اختراق الشعبويين لإسبانيا أكثر من سؤال بشأن ديناميكية التغيرات الاجتماعية داخل مجتمع ظن سياسيوه أنه محصن ضد التشدد. فهل استفاد الشعبويون من زخم شعبية نظرائهم في البلدان المجاورة أم أنه لا عاصم من تسونامي الانعطاف إلى اليمين؟ ثم ما الذي يدفع بالشباب الإسبان، غير المعاصرين لحقبة الدكتاتورية، إلى تبني أفكار فاشية لم يعاشوها؟

حلمي همامي

صحافي تونسي



مدير - قبل عام واحد فقط لم يكن الإنجاز الذي حققه حزب فوكس الشعبوي أمراً يمكن التفكير فيه، ففي آخر انتخابات عامة في يونيو 2016، حصل الحزب على 0.2 بالمئة فقط من الأصوات، لكنه اليوم يحصد 10 بالمئة، إذن لقد وقعت الصدمة التي لم يكن أحد يتربها.

وانتهى فوكس بذلك الاستثنائية الإسبانية التي كانت متمثلة في الحصانة المفترضة للبلاد من الأحزاب اليمينية المتطرفة التي توغلت في السياسة الأوروبية الرئيسية واستسلمت أخيراً للعد الشعبوي الذي ضرب سواحل إيطاليا وقلب باريس وأعاد إحياء جدار برلين.

وكانت إسبانيا في العقد الماضي تبدو محصنة ضد الانتشار الذي حققه اليمين المتطرف في أنحاء القارة العجوز، ولم تكن الدكتاتورية العسكرية للجنرال الراحل فرانسيكو فرانكو قد تلاشت بعداً من أذهان الكثيرين، لكن ما هو حزب فوكس قد رسخ موضع قدمه بقوة أساسية في مضمار السياسة الإسبانية.

ماتيو سالفييني

في إيطاليا كما في إسبانيا، كل ما نريده هو العيش بسلام



والاشتراكيون الذين كانوا ياملون في الحصول على غالبية واضحة لوضع حد للأزمة السياسية التي تشهدها البلاد منذ العام 2015 لم يحصلوا سوى على 120 مقعداً بعدما كانوا يشغلون 123، في وقت تقدم فيه محافظو الحزب الشعبي من 66 إلى 88 مقعداً وفوكس من 24 إلى 52 مقعداً متقدماً على حزب بوديموس (يسار راديكالي) الذي تراجع من 42 إلى 35 مقعداً.

واستفاد الحزب بشكل كبير من أزمة إقليم كتالونيا المتزايدة، بعد أن تعهد بتبني خط متشدد بشأن مساعي الإقليم للانفصال، كما يقود الحزب أيضاً حملة

ضد الهجرة، ويقدم صلة بين وصول المهاجرين الأفارقة وما يقول إنه ارتفاع في نسب الجريمة بإسبانيا.

### مهد القومية الإسبانية

أعلن عن ولادة حزب فوكس عام 2014 على يد عدد من الأعضاء السابقين في الحزب الشعبي المحافظ، يمين الوسط، الذين كانوا يشعرون بالسخط بسبب السياسات الاقتصادية الفاشلة للحزب وقتها والرد الضعيف على النزعة الانفصالية المتزايدة في إقليم الباسك وكتلونيا.

وأطلق الحزب الذي رأى النور قبل سنوات قليلة أول حملة انتخابية من قرية كوفادونغا التي تقع في إقليم أستورياس شمالي إسبانيا والتي يسكنها بالكاد مئة شخص.

وترى أوساط اليمين المتطرف الإسباني أن القرية تمثل مهد القومية الإسبانية لأنها شهدت أول انتصار للمسيحيين الهسبان (الاسم القديم لإسبانيا) على المسلمين الذين كانوا يحكمون الأندلس إلى أن قضى على الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية مع سقوط غرناطة عام 1492.

ويقول نائب رئيس الحزب للعلاقات الدولية إيفان أسبينوزا ديل مونتيرون إن القارة الأوروبية مدينة لإسبانيا لما هي عليها الآن "لأنها أوقفت منذ العصور الوسطى انتشار الإسلام وتوسعه".

ولا يخفي الحزب عداؤه الواضح للمسلمين كما المهاجرين، فقد جرى التحقيق مع الشخص الثاني في الحزب بتهمة نشر الكراهية الدينية عندما تحدث عما أسماه بـ"الغزو الإسلامي الذي يمثل عدو أوروبا".

وعلى الرغم من دعوات رئيس الحزب سانتياغو أيسكال لاستعادة إسبانيا فإن الحزب ليس له علاقة بالهجرة والحدود بقدر ما له علاقة أكبر بالسياسة الداخلية. وتعرض الحزب للسخرية باعتباره حزباً يمينياً متطرفاً وشعبوياً، معارضاً للمهاجرين، ومناوئاً للإسلام، لكن زعيمه، يعتقد أن زيادة التأييد الذي حصل عليه في الفترة الأخيرة ترجع إلى أنه "يتماشى مع ما يفكر فيه ملايين الإسبان".

ورفض زعيمه تصنيف الحزب باعتباره يمينياً متطرفاً، قائلاً إنه حزب "الضرورة القصوى"، وليس المتطرف.

وأضاف أن دعمه لعضوية إسبانيا في الاتحاد الأوروبي، تفرق بينه وبين الكثير من الأحزاب الشعبوية، والحركات اليمينية المتطرفة في أرجاء أوروبا. وترتبط بين قيادات اليمين المتطرف في أوروبا أهداف عقائدية عامة تتمثل في الحد من المسار الليبرالي الواضح الذي يسير فيه الاتحاد الأوروبي وإعادة زمام السلطة إلى عواصم الدول الأعضاء.

ورغم أوجه الشبه الواضحة، مثل التشكيك في جدوى أوروبا ومعاداة الإسلام، فإن وحدة الصف ليست بالأمير اليسير بين هذه الحركات، وحتى في

سياسة الهجرة، ثمة انقسامات عميقة. ويدعو الحزب إلى "جعل إسبانيا عظيمة مرة أخرى"، ووصف منتقدون أيديولوجيته بأنها شعبوية وتشجع الردة إلى دكتاتورية فرانسيكو فرانكو.

### حتى بعد موت فرانكو ودخول إسبانيا نادي الديمقراطيات الغربية ظلت أفكاره حية كأيديولوجيا لم تدفن قط

وعمدت زعيمة اليمين المتطرف في فرنسا، ماريين لوبان، إلى موقع تويتر لتنهضة حزب فوكس على ما أحرزه من انتصار كبير. كما أعرب الإيطالي ماتيو سالفييني من الحركة الشعبوية في بلاده عن سعادته جزاء النجاح الذي حققه الحزب الإسباني.

وغرد سالفييني على تويتر قائلاً "ليسست عنصرية ولا فاشية نهائياً؛ في إيطاليا كما في إسبانيا، كل ما نريده هو أن نعيش بسلام في أوطاننا".

### انفصاليو كتالونيا والباسك

نجح حزب فوكس في استمالة الناخبين الإسبان الراضين للنزعة الانفصالية لإقليم كتالونيا، حيث ساهمت مواقف القومية في تحقيق الحزب لهذه النتائج الباهرة، إذ أن قبل نشأة الحزب لم يكن للأحزاب اليمينية المتطرفة أي وزن يذكر.

واستطاع أباسكال الذي يدين "خونة إسبانيا" و"اليمين الجبان"، في إنعاش هذا الحزب الذي أسسه قبل خمس سنوات مع عدد من الذين خاب أملهم من الحزب الشعبي اليميني المتهم "بخيانة قيمهم وأفكارهم".

ويدعو إلى حظر الأحزاب الانفصالية وإلغاء القوانين التي تعاقب على العنف المرتبط بالتمييز حيال المرأة، ويدافع عن العائلة التقليدية مع أن أبنائه الأربعة ولدوا من زواجين مختلفين.

ويستمتع الناشطون إلى أباسكال بكل شغف وهو يدين "الدكتاتورية اليسارية" و"عداء إسبانيا" في إشارة إلى الانفصاليين الكتالونيين والباسك. وأباسكال (43 عاماً) الذي ترعرع بأموريو وهي قرية في منطقة الباسك كان جده رئيس بلديتها خلال حكم فرانكو، يروي أن والده الذي كان عضواً في المجلس البلدي عن الحزب الشعبي، نجح من ثلاث محاولات اغتيال قامت بها منظمة إيتا المطالبة بانفصال الباسك.

وقالت بياتيز أشا الخبيرة في الشؤون السياسية بجامعة نافارو العامة إن "تجربته السياسية في بلاد الباسك التي تمثلت بسنوات من التهديدات، أثرت بالتأكيد على أفكاره. لكن بالتأكيد لم يتبن كل الذين هددوا أي مواقف متطرفة إلى هذا الحد"، مضيفة "اعتقد أن التقاليد العقائدية لعائلته لعبت دوراً أيضاً".

ولا يخفي الرجل أنه يمتلك مسدساً من نوع "سميث آند ويسون" وهو أمر نادر في بلد ترفض فيه القوانين قيوداً صارمة على حيازة الأسلحة. وإلى جانب الانتقادات لأفكاره، يذكر معارضوه بامضيه كمسؤول كان يحصل على راتب عال جداً في وكالات ومؤسسات عامة عندما كان عضواً في الحزب الشعبي، لكنه رد بالقول أن هذه المؤسسات "غير مجدية".

### عودة زمن فرانكو

يتساءل مراقبون عن الدوافع التي أدت إلى انتعاش الأيديولوجيا الفاشية لدى شباب إسبانيين لم يعاشوا تلك الحقبة المظلمة لكنهم يدعمون نزعتها القومية المغلقة، فهل للسياسات الاجتماعية والتغيرات الديمقراطية الإسبانية الحديثة دور ما، يعتقد الكثيرون نعم ويذهب آخرون إلى القول إن تلك المسائل هي حجر الأساس.

على مدار عقود، كان موقع قبر الراحل الجنرال فرانسيكو فرانكو محل جدل كبير. لكن الفصل الأخير في هذه القصة انتهى في 24 أكتوبر الماضي، إذ تم استخراج رفاته ونقله إلى مقبرة أخرى في العاصمة مدريد. فلم تصاعدت المطالب بنقل رفاته فرانكو؛ ولم أثار الأمر كل هذا الجدل؟ حكم فرانكو إسبانيا منذ عام 1939، وحتى وفاته عام 1975. ودفن في ضريح ضخم يحمل اسم "وادي الشهداء"، في ضواحي مدريد، لكن موقع المقبرة تحول إلى قبلة لليمين المتطرف، وهو ما يرفضه الكثير من الإسبان. وحاولت أسرة فرانكو واليمينيون

### سقوط آخر قلاع الرفض

المتشددون منع نقل الرفات، لكن محاولاتهم باءت بالفشل. غير أن عدداً كبيراً من الإسبان يرون أن المكان تجسيد لانتصار القوات الموالية لفرانكو على معارضيه الجمهوريين. كما أن جزءاً من الضريح بُني على يد السجناء السياسيين الذين استفلتهم حقبة فرانكو كعمالة إجبارية.

يعتبر اليمينيون المتشددون محل دفن فرانكو ضريحاً، يزورونه كنوع من التقدير للجنرال الراحل. كما يجتمعون فيه لإحياء ذكرى وفاته، لكن الحكومة الاشتراكية المنتهية ولايتها والتي أتت للحكم في يونيو الماضي، جعلت نقل رفات فرانكو على رأس عودها.

وتريد الحكومة أن يصبح وادي الشهداء "مكاناً لإحياء ذكرى ضحايا الحرب وتقديرهم" وترى أن وجود رفات فرانكو في هذا الضريح إهانة للديمقراطية الناضجة. ويؤيد الكثير من أبناء ضحايا فرانكو قرار نقل رفاته. لكن الرأي العام الإسباني انقسم حول هذا الأمر.

حتى بعد موت فرانكو عام 1975، ودخول إسبانيا نادي الديمقراطيات الغربية الحديثة، ظلت أفكاره حية كأيديولوجيا وعقيدة لم تدفن قط في إسبانيا، فقد كان من بين أحد شروط التحول الديمقراطي في عدم إدانة الطبيعة الدكتاتورية للنظام الفاشي، والسماح لرموزه بالإفلات من العقاب. ونجح اليمين الإسباني، الوريث الشرعي لهذا النظام في التمييز على طبيعته الإجرامية. لذلك لم يعد الإسبان الشبان يجدون أي حديث في مناهجهم التربوية أو في إعلامهم عن الفاشية، وإنما أصبح الحديث فقط عن المرحلة الفاشية فقط من دون أي أوصاف أخرى، للتغطية على طبيعة ذلك النظام.

وفي المقابل، لم تمت هذه العقيدة، بل أصبح لها أنصار يجاهرون بها، حيث نجحوا في البداية في السيطرة على آليات التحول الديمقراطي. وبعد ذلك عملوا على التغلغل داخل القوى السياسية والمالية والإعلامية، بهدف التأثير فيها والسيطرة عليها وهو ما بدأ يتبلور على أرض الواقع مع صعود فوكس بقوة سياسية ثالثة في البلاد.



نريد استعادة إسبانيا نحن حزب الضرورة وليس التطرف

سانتياغو أيسكال  
رئيس حزب فوكس